

أحياناً حيث تقوم دويلات الحق، ولكنها لا تدوم ولا يهلك الظالمون عن بكرتهم في هذه الدويلات.

إذاً ﴿لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ تعني ذلك الزمن حيث الهلاك الجماهيري للظالمين كوناً وكياناً وسلطة، ثم ﴿وَلَنَسْكَنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم مهما كانوا موجودين، فإن في زوال سلطتهم اضمحلالهم.

وهكذا وعد المرسلون - ككل - ولم يحقق وعده تعالى طول حياتهم السابقة، فليكن في رجعتهم الخاصة زمن المهدي المظفر المنصور من آل محمد ﷺ حيث يرجعون أنصاراً لهذه الدولة المباركة، وأصحاب الألوية، ثم من بعد موته ﷺ يحكمون كما حكم.

وعل ﴿الظَّالِمِينَ﴾ هنا هم أئمة الظلم والضلالة حيث يرجعون مع أئمة الإيمان والعدالة وكما في الخبر المستفيض «يرجع من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً» وهذه رجعة بالاستعداد عامة، كمن قبلهم خاصة من النبيين وأئمة الدين المعصومين ﷺ ثم رجعة بالاستدعاء لمن التمس من متوسطي الإيمان أن يرجع مع من محض الإيمان محضاً.

وهكذا يجاب عن مشكلة ﴿وَلَنَسْكَنَنَّكَ﴾ إذ لم يسكنوا أرضهم حيث الظلم وحملته الرؤس والهوامش احتلوا طول التاريخ حتى أراضى الدعوة للمرسلين، فكيف «لنسكننكم أرضهم» وبعد ﴿لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وترى ما هو مقام الرب وليس له قيام مصدرأ أم زمناً أو مكاناً كما هي معاني المقام؟

إضافة المقام إلى الله تجرّده عن كل مقام لمن سوى الله، وتستخلص له من المقام قيامه بذاته وبأمر الربوبية في الدنيا والآخرة، فهو القيوم في ذاته وصفاته وأفعاله، مقامات ثلاث، وهي دون الأولى بين جمال وجلال، ومقام جلاله جل جلاله هو موقف القدرة والجبروت ومكانة العزة ﴿وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴿١﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٢﴾ (٣).

فمن قيامه تعالى بالقسط جزاءه العدل يوم القيام حيث ﴿يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤﴾ وإلى سائر قيامه في سائر الحياة و﴿ذَلِكَ﴾ الانتصار التام ليس لكل مدع للإيمان، وإنما ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَخَافَ وَعِيدَ﴾ والخائف مقام الرب ووعيده لا يخاف مقام سواه في تحقيق مرضاة الرب وتطبيقها في المجتمع قدر المستطاع، وقد عبر عنهم في بشارة أخرى بالصالحين ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ وفي ثالثة بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ومن أصلح الصالحات الإيمانية محاربة الظلم ومحاولة بسط العدل دون تساهل وخمول، والساكت عن الظلم شيطان أخرس.

ومن الخائفين مقام ربهم ووعيده قوم يضحكون جهراً في سعة رحمة ربهم ويبكون سراً من خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة والمساجد ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً ويقبلون بقلوبهم عوداً وبدأ فمؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدأبون في الليل حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ يقرؤن القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقدان عليهم من الله تعالى شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا أمامهم أعدوا الجوار لقبورهم

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٣) راجع الفرقان ج ٣٠ ص ٩٦ - ٩٧ و ٢٧: ٤٨ - ٤٩.

(٤) سورة المطففين، الآية: ٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

والجواز لسبلهم والاستعداد لمقامهم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(١).

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٢):

الاستفتاح هو طلب الفتح في معركة صاخبة دائبة بين الرسل والمرسل إليهم، وترى من هم المستفتحون هنا؟

هل هم الرسل؟ ف ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾^(٢) وكما في نوح: حيث ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾^(١٧) فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبَحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَاجْنِبْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾^(١٨) ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿الْبَاقِينَ﴾^(٣) وفي محمد ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤) وهكذا من بينهما من النبيين قائلين: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٥).

أم وهم المرسل إليهم الكافرون، استفتحوا بدعائياتهم الزور الغرور وما هددوا به المرسلين وفعلوا ما افتعلوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ واستفتحوا ليوم الدين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿الْيَوْمَ﴾^(٦) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ^(٧) ولقد كانوا باستفتاحهم يوم الدين يستعجلون العذاب الأليم ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ

(١) الدر المنثور ٤: ٥٧٢ أخرجه الحاكم من طريق حماد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ خيار أمتي فيما أنبأني الملاء الأعلى قوم... لمقامهم ثم تلا ﷺ «ذلك...».

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧-١٢٠.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٦) سورة السجدة، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٢٦.

فَأَمْطُرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ (٢) ﴿أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣).

ولكن فتاح الأمر هو وعد الله ﴿لَنُثْلِكََنَّ الْأَطْلَمِينَ﴾ وختامه تحقيقه ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وبينهما استفتاح من أولاء ومن هؤلاء وأين استفتاح من استفتاح؟.

﴿... كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾:

﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ إذا مات جباراً عنيداً،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٢) نور الثقلين ٢: ٥٢٠: ح ٢٦ في روضة الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي بصير قال: بينا رسول الله ﷺ جالسا إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله ﷺ إن فيك شبيهاً من عيسى بن مريم لولا أن يقولوا فيك طوائف من أمتي ما قالت النصراني في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملء من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون البركة قال: فغضب الأعرابي أن أنزل الله على نبيه ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ...﴾ [الزخرف: ٥٧] فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطُرْ عَلَيْنَا...﴾ [الأنفال: ٣٢] إن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل ﴿فَأَمْطُرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] ثم قال له: يا عمرو إما تبت وإما رحلت؟ فقال: يا محمد ﷺ! بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال له النبي ﷺ: ليس ذلك إلي ذلك إلى الله تبارك وتعالى فقال يا محمد! قلبي ما يتابعني على التوبة ولكن ارحل عنك فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضت هامته ثم أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: ١-٣] فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال الله ﷻ: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢٩.

ولماذا ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ و﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وهما أمام كل جبار عنيد حيث يستقبلونهما في مسيرة الحياة ومصيرتها؟

علّه لأنهم يستدبرونهما إيماناً إذ هم بهما كافرون، مهما يستقبلونهما كواقع، فجاء التعبير بالواقع المختار كما يزعمون دون الواقع على أية حال.

ثم ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ لا تخص وراء الأخرى، بل والأولى، فإن جهنم الحياة هنا هي من وراء ما يعتقدون وما يعملون خلفيّة لا حول عنها إلا بحول الله وقوته، فالجبار العنيد يعيش جهنم الحياة ويعيش من تحت وطأته إياها في الحياتين: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى...﴾ ف﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ هنا وهناك، تعني مخلفات وراء تخلفاتهم، سواء أكان لهم في مثلث الحياة، أم والآخرين حيث العمليات الكافرة تظلم الجو على عائشيه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾^(١) ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾^(٣).

فلأن الناكرين للقيامة يجعلونها وراءهم نكراناً، وهم مقبلون إلى الدنيا وشهواتها، فجاءلون الأخرى وراءهم يوماً ثقيلاً، لذلك نرى القيامة لهم - لا للمؤمنين - وراء، فهم في دنيا الحياة في وراء وعراء.

فالوراء - إذاً - قد تكون الواقع الذي لا حول عنه ولا حول في إيجابه أو سلبه، والحياة الحساب ليست وراء بل هي أمام، وقد تكون حياة الحساب حسب العقيدة والعمل الصالح لها، فهي وراء لمن لا يعتقدونها ولا

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٠.

يعمل لها ف ﴿وَيَذَرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ وهو أمامهم في الواقع، ونرى الوراء في الحياة الحساب تختص في آياتها بناكريها دون المؤمنين فإنها لهم أمام.

وعلى الوراء الأول هو البرزخ والثاني هو القيامة، وقد يلحق له ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ حيث البرزخ أمامه غير غليظ، وهو وراء جهنم.

و﴿مَاءٍ صَكِيدٍ﴾ هو القيح السائل من الجرح^(١) وهذه مرة يتيمة يعبر فيها عن ماء الجحيم بصديد، وعله صد الحياة كحياة وإن كان ليس بميت.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ جرعة جرعة، حيث لا يتجرأ على ابتلاعه دفعة، ولا يستغني عنه حتى لا يتجرع، ضرورة العطش الهالك الحالك، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ويرويه، بل ويزداده عطشاً على عطش، فقد يشرب الشارب ماء ولا يسيغه لمرض العطاش، فقد يسيغه لولا العطاش، ولكنه ماء ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ لأنه لا يروي، بل ويزيده عطشاً! ثم ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ في الجحيم ﴿وَيَأْتِيهِ... وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فهو ذائق طعم الموت بكل بواعثه وكوارثه من كل مكان خارج وجوده، ومن كل مكان من جسمه، وحتى من مكان حياته وهو فمه الآكل الشارب، فإنهما مميتان

(١) الدر المنثور ٤ : ٧٣ - أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة النار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في الآية قال: يقرب إليه فيتركه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعائه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمَّد: ١٥] وقال: ﴿وَيَسْتَنَفِثُوا بُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

وفي نور الثقلين ٢ : ٥٣٢ عن تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن أهل النار لما على الزقوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم سألوا الشراب فأتوا بشراب غساق وصديد ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ [إبراهيم: ١٧] وحميم يغلي به جهنم منذ خلقت، ﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

كسائر بواعثه، وعَلَّه من أتعسه حيث يختص بالذكر بينها، فأصبح باعث الحياة باعث الموت وكارثه! ولكنه لا يموت، فهو - إذاً - أموت من الموت ببأسه، وأحى من الحياة ببؤسها، جمعاً بين كوارث الموت والحياة، حياة خالدة مازجة بموت خالد، لا حظوة في تلك ولا خلاص عن ذلك ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

أجل! وإن غواشي الكروب، وحوازب الأمور تطرقه من كل مطرق، وتطلع عليه من كل مطلع، حيث ﴿لَا بُقَى وَلَا نَذْرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴿١﴾...! وقد يوصف المغموم بالكرب، والمضغوط بالخطب بأنه في غمرات الموت، مبالغة في عظيم ما يغشاه، وأليم ما يلقاه.

وترى إذا ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فأين موت النار بمن في النار صيانة على العدالة الربانية؟ إن ﴿كُلِّ مَكَانٍ﴾ هنا هي مكانات الجحيم، فما دام الجحيم ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ منها، فإذا زال الجحيم فلا مكان - إذاً - يأتيه الموت منه، ولا هو كائن حتى يأتيه الموت!.

ثم الموت الآتي من قبل الله حين ختام العذاب العدل، ليس هو من أي مكان فضلاً عن كل مكان، وإنما هو من خالق الزمان والمكان ولذلك يؤثر أثره، دون سائر عوامل الموت حين لا يريد الله تأثيراتها في الموت.

ومن ثم فالظاهر من ﴿كُلِّ مَكَانٍ﴾ هنا مكانات الجحيم البرزخية، ثم ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ في الجحيم الأخروية.

إذاً فلا دلالة ولا إشارة في ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ إلى فرية معروفة على الله أن أهل النار مؤبدون فيها إلى غير النهاية!

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاحُ الْبَعِيدُ﴾ : ﴿١٨﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وآياته قلباً وقالباً ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ قلباً وقلباً ﴿كَرَّمَادٍ...﴾ فطالحات أعمالهم هباءً دونما حاجة إلى إهباء وإحباط، وصالحات أعمالهم حابطة لأنها خابطة دون رباط بإيمان.

ولماذا ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ...﴾ إبدالاً، دون «مثل أعمال الذين كفروا»؟ علّه تعبير عن احتصار كيانهم الكافر في أعمالهم الكافرة، باطنة وظاهرة، علماً وعقيدة وطوية ونية، ثم بروزاً لما في الجوانح في الجوارح، فقد استأصل ذلك المثل كيانهم - ككل - في أعمالهم الهباء الخواء، حيث الله منها براء: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾^(١). إذا ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾^(٢) إذ خفت موازينهم! فمثل هذه الأعمال الخاوية عن الإيمان، كرماد مركوم، متصلة الظواهر، منفصلة بعضها عن بعض وعن مكانها، يخيل إلى الناظر الغافل أنه شيء، ثم إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف، تراه هباءً منثوراً ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ...﴾! وهكذا تكون الريح العاصفة يوم الحساب، تعصف بأعمالهم فتجعلها هباءً منثوراً.

ولأن ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ جمع مضاف، فقد تستغرق كل أعمالهم صالحات وطالحات، ولكنما الطالحة حابطة في ذاتها دون حاجة إلى ريح تشتد بها، فقد تعني - فقط - صالحاتهم، إلا أنها كطالحاتهم حابطة دون إحباط لفقدتها شريطة الإيمان، وهذا المثل بيان لواقع أعمالهم في حساب الله، وانهم يحسبون طالحاتهم - كما الصالحات - صالحات، والله ينبئهم انها كلها حابطات، إن في بعد كصالحاتهم، أم في بعدين كالطالحات،

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

ف ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ - إذا - تعني كل اعمالهم، كما ان ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ تؤيد العموم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ بخلاف الصالحين حيث يعاكس أمرهم: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(١).
وهنا تبرز حقيقة ناصحة ناصعة أن ليس العمل هو - فقط - المعوّل، وإنما هو باعث العمل، إن إيماناً فصالح، وأن كفرأ فطالح.



(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمُ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ